الحاكمية الملحمية
في فكر جهيمان

من الأمور التي نلاحظها في فكر جهيمان هو سذاجة الطرح لهذا الموضوع «أعني الحاكمية» وعدم امتلاكه لرؤية شاملة لفقه الواقع يقول في رسالته: «رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام» «وإذا تأملت الحديث، ونظرت في الواقع؛ رأيت أنه قد حصل العمل والنتيجة، فحينما لم يحكم هؤلاء الحكام بكتاب الله ولم يتحرّوا فيما انزل الله؛ وقع البأس فيما بين المسلمين، فكثرت الفرقة والاختلاف وأصبح بعضهم يسعى لإبطال ما عند الآخر وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، والله قد نهاهم عن ذلك، ولكن هذا كله من ثمرة تعطيل الحكم بكتاب الله وتحري ما أنزل الله». وأنا أعلم أن جهيمان هنا عنده من هذه القضية شذرات من العلم وهي من أخطر القضايا التي تؤرق الدعاة والمصلحين وتناوُلها بشكل كلي بهذه الصورة لا ينفع الطرح العلمي، حتى إنه قال: «وأعلم؛ أن غالب المنتسبين

إلى الدين والزهد من بعد القرون المفضلة لا يهتمون بهذا الجانب. . .» يعني هنا الحاكمية ولن نستطيع أن نفهم كلام جهيمان إلا إذا علمنا أنه يرى أن حكم المسلمين مر بأربع مراحل لا من حيث واقعها التاريخي أو الزمني وإنما من حيث تحقق النص الملحمي **ففي فصل الخلافة التي على منهاج النبوة والملك الجبري**، أورد جهيمان حديث «النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»، ثم سكت [رواه أحمد، وهو حسن]». هذا التسلسل هو الذي بنى عليه جهيمان فكره ومنهجه الحركي فهو لم يتناول الخلافة العظمى كموضوع قائم بذاته وإنما تناوله كخبر ملحمي جزمي الوقوع بهذا الترتيب لا محالة.

فهي **أولاً** النبوة أو الرسالة ثم ترفع أو تنتهي.

وثانياً: الخلافة على منهاج النبوة ويعني هنا دولة الخلفاء الراشدين الأربعة ثم تنتهي.

وثالثاً: الملك العاضّ ثم ينتهي.

ورابعاً: الملك الجبريّ، والذي يرى جهيمان أننا فيه وهو ما عمل على التدليل عليه.

وخامساً: الخلافة على منهاج النبوة.

ولو تأمّلنا كلام جهيمان في هذه الرسالة فسنجد أن مجمل كلامه تناول فيه «الملك الجبري» و«الخلافة على منهاج النبوة» كتمهيد لمشروع مستقبلي تناوله بحتمية نصية لا شك فيها وهو بيعة المهدي المنتظر.

ـ الملك الجبري

ورد مصطلح «الملك الجبري» في حديث النعمان بن بشير السالف الذكر ولا أعلم أنه ذكر في موضع آخر، وحسب الترتيب هو رابع صور الحكم التي سوف تمر بها الأمة، ويأتي بعد «الملك العاضّ» وقبل الخلاف على منهاج النبوة وقد فسره بعض العلماء بولاية المتغلب».

يقول جهيمان: «وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا على الواقع؛ رأيت أنا نعيش اليوم في الملك الجبري، الذي ليس المسلمون فيه هم الذين يختارون الخليفة وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم، ثم يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أنه ينعزل، كلا بل الأمر جبري، وأن حكام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول بالحق حيثما كانوا ونصرة الدين، بل

على نظام وقوانين ليس فيها من الشرع إلا ما وافق الهوى، وأما ما خالف فلا، والمقصود أنه ليس خلافة على منهاج النبوة».

ثم تناول البيعة في حال الملك الجبري فقال: «واليوم إنما يحكم المسلمين الملك الجبري، الذي ليس مبنياً على البيعة، وقد خالف شرع الله في عدة أمور منها:

١) أن الحكام فيه ليسوا من قريش.

٢) أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله.

٣) أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد ونصرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبر والقهر.

وبهذا تعرف عدم وجوب بيعتهم وطاعتهم».

إن أهم نقطة ذكرها جهيمان هي مسألة «القرشية» وهي الأساس لهذا الطرح التمهيدي لاقتحام الحرم.

ـ الخلافة على منهاج النبوة

ويعني بها هنا المهدي المنتظر.

ـ الآخر في فكر جهيمان

يمثّل الآخر غالباً في فكر جهيمان عدة مستويات حسب القرب والبعد من منهج «الجماعة السلفية المحتسبة» وكما

ذكرنا سابقاً ما قرره من موقف من «جماعة الإخوان المسلمين» و«جماعة الدعوة والتبليغ» و«جماعة أنصار السنة المحمدية» وموقفه من بعض «طلاب العلم» كما جاء ذلك في رسالة «رفع الالتباس» نجده أكثر عنفاً مع المخالف له في العقيدة مثل الآخر الشيعي والآخر المسيحي من غير مراعاة أن الأول يمثّل شريحة تسكن معه في الوطن نفسه، لها حقوق المواطنة نفسها التي يتمتع بها وعليها الواجبات نفسها. فهو يقول: «وامتازت دولتنا بقسط وافر من هذا التلبيس ـ منها ومن علمائها ـ والتي تسمي نفسها اليوم بـ «دولة التوحيد»، وإنما وحدت بين صفوف المسلمين والنصارى والمشركين، وأقرت كُلاً على دينه ـ كالروافض ـ وحاربت من خالف ذلك، وقاتلت من قاتل المشركين الذين يدعون علياً والحسين، وقد حاربت كذلك عبادة القبور والقباب وأرست قواعد عبادة الريال».

ثم قال: «وأقرب مثال وأوضحه؛ مؤسس دولتهم الملك عبد العزيز والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه،... فقد دعا «الإخوان» رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد... على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده؛ وآلى النصارى، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة، فلما خرجوا لقتال المشركين في العراق الذين يدعون علياً وفاطمة والحسن مع الله».

يذكّرنا هذا الموقف بحيثيات وأسباب خروج الإخوان على الملك عبد العزيز ومنها منعهم من مقاتلة الشيعة واستعانة الملك عبد العزيز بالمسيحيين في تحديث المرافق الصناعية في الدولة، وهو جائز شرعاً، وهو يدل على مدى تأثّر جهيمان بفكر الإخوان المتقدمين ومواقفهم.